﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ وَٱلۡكَٰفِرُونَ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ٢٦﴾ [الشورى: 26]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبلَها:

بَعْدَ أنْ خَتَمَ البَيانُ القُرْآنيُّ في قَوْلِ اللّٰه تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ الحَديثَ عنِ الجُزْءِ المُتَعَلِّقِ بِأصْحابِ السَّيِّئاتِ التّائِبينَ، وأصْحابِ السَّيِّئاتِ الَّذينَ لَم يَتوبوا، جاءت هَذِه الآيَةُ لِبَيانِ حالِ فريقٍ آخَر، وهُمُ الَّذينَ آمَنوا، وعَمِلوا الصّالِحاتِ، الَّذينَ يَقْتَرِفونَ الحَسَناتِ، فبيَّنت أنَّ اللّٰهَ تعالى يَزيدُ لَهُم في دَرَجاتِ الكَرامَةِ والتَّشْريفِ، وذَلِكَ بِإكْرامِهم بِشَيْءٍ آخَرَ، وهوَ أنَّهُ يُجيبُهُم، ويَزيدُهُم مِنْ فضْلِه[1]، فوَجْهُ المُناسَبَةِ بَينَ الآيَتينِ أنَّهُ سبحانه لَمّا رَغَّبَ بِالعَفْوِ؛ زادَ الإكْرامَ بِإجابَةِ دُعاءِ الَّذينَ أقَرّوا بِالإيمانِ في كُلِّ ما دَعَوْهُ بِه، أو شَفَعوا عِنْدَهُ فيه، فأثابَهُم النَّعيمَ المُقيمَ، وزادَهُم على ما دَعَوا لَهُ ما لَم يَدْعوا بِه، ولَم يَخْطُرْ على قُلوبِهِم، ثُمَّ رَهَّبَ الَّذينَ اسْتَمَرّوا على كُفْرِهم بالافتِراءِ على نَبيِّه الكَريمِ ﷺ، وأنْكَروا الوَحْيَ بِأنَّ لَهم عَذابًا شَديدًا[2].

الانتِقالُ مِنَ الحَديثِ عن قَبولِ التّائِبينَ، إلى مَزيدِ فضْلِه لِلطّائِعينَ، وشِدَّةِ عَذابِه لِلكافِرينَ العاصينَ

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَيَسۡتَجِيبُ﴾: (جوب) أصلٌ يَدُلُّ على خَرْقِ الشَّيْءِ، وثَمَّةَ أصْلٌ آخَرُ، وهوَ مُراجَعَةُ الكَلامِ، يُقالُ: كَلَّمَهُ، فأجابَهُ جَوابًا، وقَد تَجاوَبا مُجاوَبَةً، والمُجابَةُ: الجَوابُ[3]، والمَعْنَى المحوريُّ: قَطْعُ وسَطِ الشَّيْءِ المُجْتَمِعِ الصُّلب أوِ الشَّديدِ قَطْعًا مُسْتَديرًا، مَعَ بَقاءِ جَوانِبِه

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 146.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 306.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جوب).

مُلْتَحِمَةً، ومِنْ هَذا الأَصْلِ الإجابَة، والاسْتِجابَةُ، أيْ: قَبولُ الدُّعاءِ ونَحْوِه، كَأنَّ المُجيبَ تَجَوَّبَ لِلشَّيْءِ، أيْ: قَبِلَهُ في جَوْفِه وحَوْزَتِه، وكُلُّ ما في القُرْآنِ مِنَ الفِعْلِ (استَجابَ) ومُضارِعِه وأمرِه؛ فهوَ بِمَعْنَى إيتاءِ السُّؤْلِ إمدادًا بِالمَطْلوبِ، أوْ قَبولًا بِما يَدْعو اللَّه إلَيْهِ[1]، وقَدْ أجابَهُ إجابَةً وإجابًا وجَوابًا، واسْتَجْوَبَهُ واستَجابَهُ، واستَجابَ لَهُ، والإجابةُ والاستِجابةُ بِمَعْنًى[2].

2) ﴿فَضْلِهِۦ﴾: (فضل) أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على زيادَةٍ في شَيْءٍ، مِنْ ذَلِكَ الفَضْلُ: الزِّيادَةُ والخَيْرُ، والإفْضالُ: الإحْسانُ[3]، فالمَعْنَى المحوريُّ: زيادَةٌ مِنْ مادَّةِ الشَّيءِ مُتَمَيِّزَةٌ عَنْهُ[4]، والفَضْلُ: الزِّيادَةُ عَنِ الاقْتِصادِ، وذَلِكَ ضَرْبانِ: مَحْمودٌ: كَفَضْلِ العِلْمِ والحِلْمِ، ومَذْمومٌ: كَفَضْلِ الغَضَبِ على ما يَجِبُ أنْ يَكونَ عَلَيْه، والفَضْلُ في المَحْمودِ أكْثَرُ استعمالًا، والفُضولُ في المَذْموم، والفَضْلُ إذا استُعْمِلَ لِزيادَةِ أحَدِ الشَّيْئَيْنِ على الآخَرِ؛ فعلى ثَلاثَةِ أضْرُبٍ: مِنْ حَيْثُ الجِنْسُ، والنَّوْعُ والذّاتُ، وكُلُّ عَطيَّةٍ لا تَلْزَمُ مَنْ يُعْطي؛ يُقالُ لَها: فضْلٌ[5]، والمُرادُ بِـ﴿فَضْلِهِۦ﴾: أنَّ اللَّهَ تَباركَتْ آلاؤُهُ يُعْطيهم ما أمَّلوا مِن دُعائِهم وعَمَلِهم، وأعْظَمَ مِمّا أمَّلوا[6]، وروِيَ أنَّ زيادَةَ الفَضْلِ هيَ الشَّفاعَةُ في إخْوانِهم[7].

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

تَجَدُّدُ نِعَمِ اللهِ للطّائِعينَ المُصَدِّقينَ، وشِدَّةُ عذابِ الكافِرينَ المُقْتَرِينَ

اسْتَهَلَّ النَّظْمُ الحَكيمُ الآيَةَ بِنِعْمَةٍ أخْرَى مِنْ نِعَمِ اللَّهِ على عِبادِه المُؤْمِنينَ، وهيَ نِعْمَةُ الاستِجابَةِ، وقَدْ تَعَدَّدَتْ أقْوالُ المُفَسِّرينَ في بَيانِ

(1) ابن جزيّ، التّسهيل: 2/ 248.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (جوب).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فضل).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (فضل).
(5) الرّاغب، مفردات القرآن: (فضل).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 91.
(7) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 20/ 507.

هَذِه الاسْتِجابَةِ على ثَلاثَةِ أقْوالٍ، الأوَّلُ: أنَّ الاسْتِجابَةَ مِنَ اللّه لِعِبادِه المُؤْمِنينَ، فمَعْنَى ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾ يَعْني: (يُجيبُ)، أيْ: يُجيبُهُم فيما يَطْلُبونَ مِنْهُ، والثّاني: أنَّ الاستِجابَةَ مِنَ المُؤْمِنينَ لِرَبِّهم بِاتِّباعِ دينِه، والثّالِثُ: أنَّ الاسْتِجابَةَ هي طَلَبُ المُؤْمِنينَ الإجابَةَ مِنْ رَبِّهم، ولَعَلَّ الرَّأيَ الأوَّلَ أرْجَحُ الأقْوالِ؛ لِدَلالَةِ قَوْلِه: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾، فيَسيرُ السِّياقُ على نَسَقٍ واحِدٍ، ثُمَّ خَتَمَ تعالى الآيَةَ بِالتَّذْكيرِ بِمَصيرِ الكافِرينَ بِما سَيَنالُهُم مِنَ العَذابِ الشَّديدِ؛ زيادَةً في تَرْهيبِهم، ولِبيانِ سوءِ حالِهم وشِدَّةِ بُؤْسِهم، في مُقابِلِ تَجَدُّدِ نِعَمِه وعَطاياهُ للمُؤْمِنينَ المُخْبِتينَ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَعْنَى الواوِ ودِلالَتُها في: ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾:

عَطَفَ النَّظْمُ الحَكيمُ قَوْلَ اللّه تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ على قَوْلِه تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾، فوَصَلَتِ الواوُ بَينَ الجملتَينِ، للتَّوَسُّطِ بَيْنَ الكَمالَينِ: كَمالِ الاتِّصالِ، وكَمالِ الانقِطاعِ، مَعَ وجودِ المُناسَبَةِ للوَصْلِ، وهو اسْتِمرارُ الحَديثِ عَن نِعَمِ اللّه تعالى وعَطاياهُ لِعبادِه، وقيلَ: هيَ مَعْطوفَةٌ على جُملَةِ: ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾؛ لأنَّ ظاهرَ النَّظْمِ أنَّ فاعِلَ (يَسْتَجيبُ) ضَميرٌ يَعودُ إلى ما عادَ إلَيْه ضَميرُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ﴾، وأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مَفْعولُ (يَسْتَجيبُ) بِدونِ تَقْديرِ شَيْءٍ؛ بِناءً على أنَّ (يَسْتَجيبُ) يَتَعَدّى بِنَفْسِه، كَما يَتَعَدّى بِاللّامِ نَحوُ: (شَكَرْتُهُ)، و(شَكَرْتُ لَهُ)، أو بِتَقْديرِ اللّامِ على أنَّهُ مِن بابِ الحَذْفِ والإيصالِ، والأصْلُ: (يَسْتَجيبُ للَّذينَ آمَنوا)؛ بِناءً على أنَّهُ يَتَعَدّى لِلدّاعي بِاللّامِ ولِلدُّعاءِ بِنَفْسِه[2].

كَما مَنَّ اللّهُ على التّائِبينَ بِقَبولِ التَّوْبَةِ، مَنَّ على المُؤْمِنينَ الطّائِعينَ بالاسْتِجابَةِ

(1) الخطيب، التّفسير القرآني للقرآن: 13/ 52.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 37.

دَلالةُ التَّعْبيرِ بِمادَّةِ الاستِجابَةِ:

الاستِجابَةُ بِمعنى الإثابَة

يَجوزُ في قَولِ اللّه تعالى: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أن يَكونَ المُرادُ بالاسْتِجابَةِ أنَّهُ سبحانه يُثيبُهم على طاعَتِهم، فإنَّ الطّاعَةَ لِكَوْنِها طَلَبَ ما يَتَرَتَّبُ عَلَيْها مِنَ الثَّوابِ شابَهَتِ الدُّعاءَ، وشابَهَتِ الإثابَةُ عَلَيْها الإجابَةَ، ومِن هَذا يُسَمّى الثَّناءُ دُعاءً؛ لأنَّهُ يَتَرَتَّبُ عَلَيْه ما يَتَرَتَّبُ عَلَيْه، على مَعْنى: أنَّ الحَمدَ يَدُلُّ على الدُّعاءِ والسُّؤالِ بِطَريقِ الكِنايَةِ والتَّعْريضِ[1].

إمْكانُ الجَمعِ بَينَ الحَقيقَةِ والمَجازِ في مَعْنَى الاستِجابَةِ

وقيلَ: هو على إطلاقِ الدُّعاءِ على الحَمدِ لِشَبَهِهِ به في طَلَبِ ما يَتَرَتَّبُ عَلَيْه، وجوِّزَ أنْ يُرادَ بالإجابَةِ مَعْناها الحَقيقي والإثابَة؛ بِناءً على القَوْلِ بِصِحَّةِ الجَمعِ بَيْنَ الحَقيقَةِ والمَجاز، أيْ: يُجيبُ دُعاءَهم، ويُثيبُهم على الطّاعَة[2].

الاستِجابَةُ بِمَعْنَى الانْقيادِ لله والتِزامِ أوامِرِه ونَواهيه

ويجوزُ أنْ يَكونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في مَحَلِّ رَفْعٍ فاعِلًا، أي: يُجيبُ الَّذينَ آمَنوا رَبَّهُم؛ إذا دَعاهُم، فيَكون (يَسْتَجيبُ)، بِمَعْنى: يُجيبُ، أوْ يَبْقى على بابِه مِنَ الطَّلَبِ، أي: يَسْتَدعي الَّذينَ آمَنوا الإجابَةَ مِن رَبِّهم بالأعمالِ الصّالِحَةِ، ويَنقادونَ لَهُ[3]، ويُؤَكِّدُ هَذا الوَجْهَ أنَّ اللّه تَعالى دَعا المُؤْمِنينَ بِقَوْلِه ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25]، وذَكَرَ أنَّ المُؤْمِنَ مَنِ اسْتَجابَ دَعْوَةَ رَبِّه تَعالى بِقَوْلِه: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[4].

فائِدَةُ التَّعْبيرِ بِصيغَةِ (استَفْعَل) في (يَسْتَجيبُ):

المُبالَغَةُ في الاستِجابَةِ جَزاءَ الطّائِعينَ المُخْبِتينَ

آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ التَّعْبيرَ بِصيغَةِ (استَفْعَلَ)، في: ﴿وَيَسۡتَجِيبُ﴾ دونَ (يُجيبُ)؛ وذَلِكَ لأنَّ الاستِجابَةَ: مُبالَغَةٌ في الإجابَةِ، وخُصَّتِ الاستِجابَةُ في الاستِعمالِ بامتِثالِ الدَّعْوَةِ أوِ الأمرِ[5]، وذلِكَ فَضْلًا عَنْ دَلالَةِ الصّيغَةِ على الطَّلَبِ.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 37.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 13/ 37.
(3) العكبري، التّبيان في إعراب القرآن: 2/ 1133، وأبو حيان، البحر المحيط: 9/ 337.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/ 38.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 90.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمُضارِعِ ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾:

تَجَدُّدُ الاسْتِجابَةِ بِتَجَدُّدِ الدُّعاءِ

عَبَّرَ النَّظْمُ الحَكيمُ بِصيغَةِ المُضارَعَةِ (يَسْتَجيبُ)؛ للدَّلالَةِ على التَّجَدُّدِ الاسْتِمراريِّ، فكُلَّما دَعا المُؤْمِنونَ رَبَّهُم بِضَراعَةٍ وصِدْقٍ؛ كانَت الاستِجابَةُ الإلَهيَّةُ حاضِرَةً مُتَجَدِّدَةً جَزاءً لِعِبادِ اللهِ المُؤْمِنينَ.

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بِالمُسْنَدِ إلَيْه بالاسمِ المَوْصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ دونَ (مَنْ):

ثَباتُ الإيمانِ في نُفوسِ المُؤْمِنينَ وظُهورُه في سُلوكِهم وطَبائِعِهم

عَبَّرَ النَّظْمُ الكَريمُ عَنِ المُؤْمِنينَ بالاسْمِ المَوصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ مَعَ صِلَتِه؛ لِما فيه مِنَ الإيماءِ إلى ثَباتِ ذَلِكَ الإيمانِ في نُفوسِهم، وظُهورِه في سُلوكِهم وطَبائِعِهم، وقَد آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ التَّعْبيرَ بالاسْمِ المَوْصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ دونَ الاسْمِ المَوْصولِ (مَن)، فلَم يقل: (مَنْ آمَنوا، وعَملوا الصّالِحاتِ)؛ لأنَّ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسْمٌ مَوْصولٌ خاصٌّ، يَخْتَصُّ بِالجَمعِ العاقِلِ، أمّا (مَنْ)؛ فمُشْتَرَكَةٌ تُسْتَعْمَلُ لِلمُفرَدِ والمُثَنَّى والجَمعِ والعاقِلِ وغَيرِ العاقِلِ، فالاسْمُ الموصولُ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ نَصٌّ في المُرادِ، وكَوْنُهُ مُخْتَصًّا مِن شَأنِه أن يَكونَ مَعْهودًا لَدَى السّامِعِ مِمّا يَدُلُّ على عُلوِّ شَأنِهم[1].

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِالماضي ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ﴾:

الالتِباسُ بالإيمانِ واستِصْحابُه في كُلِّ أحْوالِ المُؤْمِنينَ وثَباتُه في نُفوسِهم

عَبَّرَ البَيانُ القُرْآنيُّ عَنِ المُؤْمِنينَ بالاسْمِ المَوْصولِ مَعَ الفِعْلِ الماضي؛ لأنَّ الإتْيانَ بِالمَوْصولِ مَعَ الصِّلَةِ بِالفِعْلِ الماضي قُصِدَ به الالتِباسُ والاستِصْحابُ[2]، إضافَةً إلى ذَلِكَ، فالاسْمُ المَوْصولُ مَعَ الفِعْلِ الماضي دَلَّ على زَمانٍ ماضٍ مُحَدَّدٍ، فكانَ الأولى التَّعبيرَ بِالاسْمِ المَوْصولِ؛ لِما فيه مِنْ إشارَةٍ إلى بَيانِ سَبَبِ هَذا الجَزاءِ الّذي أعَدَّهُ اللهُ لِلْمُؤْمِنينَ مِنْ طيبِ المَقامِ في الجَنَّةِ، وكَذَلِكَ فإنَّ في التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾ دَلالَةً على تَحَقُّقِ الإيمانِ في نُفوسِهم.

(1) محمد سعيد، إشارات الإعجاز، ص: 34.

(2) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 8/ 186.

دَلالَةُ إيثارِ التَّعْبيرِ بـ﴿ءَامَنُواْ﴾ دونَ (أسْلَموا):

المُعَوَّلُ في دُخولِ الجَنَّةِ على إيمانِ القَلْبِ مَعَ الجَوارِحِ

آثَرَ النَّظْمُ الجَليلُ التَّعْبيرَ بِفِعْلِ الإيمانِ ﴿ءَامَنُواْ﴾ دونَ فِعْلِ الإسلامِ (أسْلَموا)؛ لِما في الإيمانِ مِنَ الدَّلالَةِ على تَمامِ انقيادِ القَلْبِ للّه وتَعْظيمِه؛ إذِ الإيمانُ عَمَلُ القَلْبِ، بِخِلافِ الإسْلامِ، الَّذي يُرادُ بِه في كَثيرٍ مِنَ المَواضِعِ عَمَلُ الجَوارِحِ، حَتَّى صَحَّ إسْلامُ المُنافِقِ مِنْ حَيثُ الظّاهِرُ، ولَم يَصِحَّ إيمانُه، مِنْ حَيثُ الباطِنُ.

دَلالَةُ حَذْفِ مُتَعَلَّقِ الفِعْلِ ﴿ءَامَنُواْ﴾:

شُمولُ مَفْهومِ الإيمانِ لِكُلِّ أرْكانِه وفُروعِه

حَذَفَ البَيانُ القُرآنيُّ مُتَعَلَّقَ الفِعْلِ ﴿ءَامَنُواْ﴾ إمّا لِلعِلْمِ بِه، فصارَ هَذا القَوْلُ بمنزلةِ المَفهومِ المَعْروفِ، فإذا قيلَ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ فُهِمَ المَقْصودُ مِنْ تَعَلُّقِ الإيمانِ دونَ تَرْكٍ لأيِّ رُكْنٍ مِنْ أرْكانِه، أو لأيِّ فرْعٍ مِنْ فُروعِه، وإمّا للإيجازِ الَّذي هوَ أحَدُ أهَمِّ خَصائِصِ النَّظْمِ الجَليلِ، في اكْتِنازِ اللَّفْظَةِ القُرْآنيَّةِ بِمَعانٍ كَثيرَةٍ، لا يُعَبِّرُ عَنْها غَيرُها.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالجَمعِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ لا المُفْرَدِ:

الدَّلالَةُ على كَثْرَةِ الأعْمالِ الصّالِحاتِ مَعَ تَنَوُّعِها وتَعَدُّدِها

آثَرَ النَّظْمُ الحَكيمُ التَّعبيرَ بِالجَمعِ؛ وذَلِكَ للإشارَةِ إلى كَثْرَةِ المَجْموعِ تَفْخيمًا في مَقامِ الثَّناءِ والمَدْحِ؛ ولِتَكْثيرِ الأعْمالِ الصّالِحاتِ تَمهيدًا لِمُقابَلَتِها بِواسِعِ مَغْفِرَتِه ورِضْوانِه، كَما أنَّ الجَمعَ دالٌّ على التَّعَدُّدِ والتَّنَوُّعِ وشُمولِ كُلِّ ما تَسْتَطيعُهُ النَّفْسُ مِنْ خَيرٍ، فهُم لا يُصِرّونَ على عَمَلٍ واحِدٍ فقَطْ، وإنَّما يُحيطونَ أنْفُسَهُم بِكُلِّ ما يُقَرِّبُهُم مِنْ رَبِّهم، يَنْشَغِلونَ بِه[1].

الغَرَضُ مِنْ تَعْريفِ المَفْعولِ بِه بِاللّامِ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾:

التَّعريفُ باللّامِ لإرادَةِ الجِنْسِ أوِ الاسْتِغراقِ أوْ للإطْلاقِ

جاءت كَلِمَةُ ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ مُعَرَّفَةً باللّامِ لإرادَةِ الجِنْسِ، أيْ: جِنْسُ الأعْمالِ الصّالِحاتِ هي جِنْسُ أعْمالِهم، فالغالِبُ عليْها

(1) الخضري، الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ، ص: 130.

الصَّلاحُ، فهُم يُسارِعونَ إلى كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ، فهيَ كَلِمَةٌ مُطْلَقَةٌ، لَم تَدُلَّ على عَمَلٍ مُعَيَّنٍ، وهَذا يَعني أنَّ الصّالِحاتِ تَعْني كُلَّ صالِحٍ يُصْلِحُ به شَأن الدُّنْيا والآخِرَةِ.

دِلالَةُ العَطْفِ بِالواوِ في: ﴿وَيَزِيدُهُم﴾:

بَعْدَ الإثابَةِ والتَّوْفِيَةِ تَأْتي الزِّيادَةُ والتَّخْلِيَةُ

عَطَفَ البَيانُ القُرآنيُّ الحَكيمُ قَوْلَ اللّه تعالى: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ على قَوْلِه تعالى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، فوَصَلَتِ الواوُ بَينَ الجملتَين، وذَلِكَ للتَّوَسُّطِ بَيْنَ الكَمالَين: كَمالِ الانْقِطاعِ، وهو الحَديثُ عَنْ نِعْمَةٍ مُغايِرَةٍ لِما سَبَقَ، وكَمالِ الاتِّصالِ، وهوَ استِمرارُ الحَديثِ عَنْ نِعَمِ اللّه تعالى وعَطاياهُ لِعبادِه، فجاءَتْ جُملَةُ: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾؛ لِتَتَناوَلَ نِعْمَةً أُخْرَى مِنْ نِعَمِ اللّه لِعِبادِه المُؤْمِنينَ، وهيَ إعْطاؤُهُم أكْثَرَ مِمّا سَألوه، وأكْثَرَ مَمّا يَسْتَحِقّونَهُ على أعْمالِهِم الصّالِحَةِ، ومِنْها قَبولُ شَفاعَتِهِم في إخْوانِهِم الَّذينَ قَصَّرَتْ بِهِم أعْمالُهُم عَنِ النَّجاةِ مِنْ سوءِ المَآلِ.

دَلالَةُ التَّعْبيرِ بِالمُضارِعِ ﴿وَيَزِيدُهُم﴾:

تَجَدُّدُ الزِّيادَةِ في كُلِّ وقْتٍ وحينٍ في الدُّنْيا أوِ الآخِرَةِ

عَبَّرَ النَّظْمُ الحَكيمُ بِصيغَةِ المُضارَعَةِ ﴿وَيَزِيدُهُم﴾؛ للدَّلالَةِ على التَّجَدُّدِ الاسْتِمراريِّ في الزِّيادَةِ الإلَهيَّةِ بالعَطاءِ الجَزيلِ، فلا حَدَّ لِفَضْلِه ولا نِهايَةَ لِعَطائِه، بَلْ يَتَجَدَّدُ في كُلِّ وقْتٍ وحينٍ في الدُّنْيا أوِ الآخِرَةِ.

مَعْنَى ﴿مِّن﴾ ودِلالَتُها في: ﴿مِّن فَضْلِهِۦ﴾:

ابْتِداءُ الفَضْلِ مِنَ اللّه، وفَضْلُهُ واسِعٌ لا نِهايَةَ له، يُعْطيهِ مِصْداقًا لِكَرَمِهِ وجودِه

يُحْتَمَلُ في ﴿مِّن﴾ ثَلاثَةُ أوْجُهٍ[1]: أحَدُها: أنْ تَكونَ ابْتِدائِيَّةً، بِمَعْنَى أنَّ ابْتِداءَ صُدورِ العَطاءِ مِنَ اللّه وحدَه، وثانيها: أنْ تَكونَ تَبْعيضِيَّةً، أي: مِنْ بَعْضِ فضْلِه الواسِعِ العَميمِ، وهَذانِ المَعْنَيانِ يَتَأتَّيانِ؛ إذا حُمِلَ الفِعْلُ في قَوْلِه: ﴿مِّن فَضْلِهِۦ﴾، على مَعْنَى العَطاءِ الزّائِدِ دونَ مُقابِلٍ، وثالِثُها: أنْ تَكونَ سَبَبِيَّةً؛ إذا حُمِلَ الفِعْلُ على مَعْنَى السَّبَبِ، أي: التَّفَضُّلِ، وهَذِه

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 5/ 270.

المَعاني مُتَكامِلَةٌ غَيْرُ مُتَنافيَةٍ، فيَجوزُ أنْ تُحْمَلَ الآيَةُ عَلَيْها جَميعًا، مِنْ بابِ حَملِ اللَّفْظِ على جَميعِ مَعانيه الَّتي دَلَّ عَلَيْها.

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالفَضْلِ:

فَضْلُ الله عَطاءٌ بِلا نِهايَةٍ، وقَبولُ شَفاعَةِ المُؤْمِنينَ مِنْ مَزيدِ العِنايَةِ

آثَرَ البَيانُ القُرآنيُّ الجَليلُ التَّعْبيرَ بِمادَّةِ الفَضْلِ؛ لأنَّهُ يَحْمِلُ مَعْنَى العَطاءِ، ويَأتي بِمَعْنَى الإحْسانِ بِلا عِوَضٍ، وفي هَذا تَكْريمٌ لِلْمُؤْمِنينَ، وإعْلانٌ بِسَعَةِ العَطاءِ؛ حَتَّى تَطْمَئِنَّ نُفوسُهُم، فهوَ تعالى يُعْطيهم مِنْ حَيْثُ لَم يَحْتَسِبوا، فيُنْعِمُ عَلَيْهم في الدُّنْيا بِالعَطاءِ الجَزيلِ، وفي الآخِرَةِ بِقَبولِ شَفاعَتِهم في إخْوانِهم، وهي كَرامَةٌ لا مَزيدَ عَلَيْها.

الغَرَضُ مِنَ الإضافَةِ في: ﴿فَضْلِهِۦ﴾:

أضافَ النَّظْمُ الحَكيمُ الفَضْلَ للّه تعالى ؛ لِبَيانِ أنَّ اللّهَ وحْدَهُ صاحِبُ الفَضْلِ، فالإضافَةُ لِلتَّخْصيصِ، كَما أنَّ في هَذِه الإضافَةِ تشريفًا وتعظيمًا لِقَدْرِ فضْلِ اللّه تَبارَكَتْ آلاؤُه.

سِرُّ العَطْفِ بالواوِ ودلالةُ التَّعْبيرِ بالكُفْرِ في: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾:

التَّذْكيرُ بِمَصيرِ الكافِرينَ مِنْ تَمامِ بَيانِ المِنَّةِ على المُؤْمِنينَ

عَقِبَ بَيانِ ما أنْعَمَ اللّه تعالى على عِبادِه التّائِبينَ مِنْ قَبولِ التَّوْبَةِ، واسْتِجابَتِه تعالى لِدُعاءِ المُؤْمِنينَ المُصَدِّقينَ، عَطَفَ النَّظْمُ الحَكيمُ بيان حال الكافِرينَ، فقال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، باستعْمالِ أداةِ العَطْفِ الواوِ، وذَلِكَ لِلتَّوَسُّطِ بَينَ الكَمالَيْنِ: كَمالِ الاتِّصالِ، وكَمالِ الانقطاعِ، كَما في قَوْلِه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفِطار: 13 - 14]، فانْقَطَعَ الحَديثُ عَنِ المُؤْمنينَ مِنْ ناحيَةٍ، وجاءَ التَّذْكيرُ بِمصيرِ الكافِرينَ لِلتَّرْهيبِ والإنْذارِ، وفيه اتِّصالٌ لِما فيه مِنْ بَيانِ عَظيمِ المِنَّةِ على المُؤْمِنينَ، وتَوْكيدٌ لِلوَعيدِ، وتَحْذيرٌ مِنَ الدَّوامِ على الكُفْرِ بَعْدَ فَتْحِ بابِ التَّوْبَةِ لَهم[1].

سِرُّ التَّصْريحِ بِكُفْرِهم في هَذا المَوْضِعِ:

صَرَّحَ النَّظْمُ الجَليلُ بِكُفْرِ المُفْتَرينَ المُعانِدينَ، فمَجيءُ هَذِه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 25/ 91.

الجُملَةِ الَّتي تَتَوَعَّدُ بالعَذابِ الشَّديدِ بَعْدَ جُمَلٍ تَفيضُ بالرَّحْمَةِ وقَبولِ التَّوْبَةِ، تُشيرُ إلى الطّائِفَةِ الَّتي فُتِحَتْ لَها كُلُّ هَذِهِ الأبوابِ، وأصَرَّتْ على العِنادِ والكُفْرِ، ويُلاحَظُ أنَّ كَلِمَةَ ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ لَم تُذْكَرْ في أوَّلِ السّورَةِ إلّا في هَذِهِ الجُملَةِ؛ لأنَّ الآياتِ السّابِقَةَ فتَحَتْ أبوابَ الرَّحْمَةِ، وهَؤُلاءِ كَفَروها، وعَموا عَنْها، وصَيَّروها كَأنَّها لَم تَكُنْ، والَّذينَ لا يَدْخُلونَ أبْوابَ الهُدَى مِنْ مَنافِذِ التَّوْبَةِ، والعَفْوِ، والزّيادَةِ مِنَ الفَضْلِ لَيْسَ لَهُم طَريقٌ آخَرُ إلى الهُدَى[1].

التَّصْريحُ بِكُفْرِهم نَتيجةَ لِشِدَّةِ عِنادِهم

الغَرَضُ مِنَ الطِّباقِ بَيْنَ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ و﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾:

بَيْنَ قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وقَوْلِه: ﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ طِباقٌ فيه إيضاحٌ بالِغٌ لِمَدَى بُعْدِ الشُّقَّةِ بَيْنَ الفَريقَيْنِ، وما لِكُلٍّ مِنْهُما عِندَ اللّه تعالى، فأضْفَى على المَعْنَى حُسْنًا وجَمالًا، وزادَها رَوْنَقًا وبَيانًا، فالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ، كَما هوَ مُقَرَّرٌ عِنْدَ أرْبابِ البلاغةِ، كَما أسْهَمَ الطِّباقُ في الآيَةِ في تنشيط الفاعليَّة الإدراكيَّة لأذْهانِ السّامِعينَ والمُتَلَقّينَ؛ إذْ يؤَدّي ذِكْرُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ و﴿وَٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ إلى تَداعي المَعاني المُعاكِسَةِ لِكُلِّ فريقٍ، ويوَسِّعُ آفاقَ التَّصوُّرِ بِشُؤْمِ المَآلِ في مُقابِلِ حُسْنِ الحالِ، ويوقِظُ الإحْساسَ بِسوءِ مَصيرِ الكافِرينَ في مُقابِلِ التَّكْريمِ والتَّشْريفِ للمُؤْمِنينَ، وفيه حثٌّ للعاقِلِ على زيادَةِ التَّدَبُّرِ وإمعانِ الفِكْرِ للاعْتِبارِ والاتِّعاظِ.

في الطِّباقِ حَثٌّ للعاقِلِ على التَّدَبُّرِ والتَّأمُّلِ، وبَيانٌ لِتَمامِ النِّعْمَةِ والتَّفَضُّلِ

سِرُّ المُغايَرَةِ بَيْنَ الاسْمِ المَوْصولِ والاسْمِ الصَّريحِ:

غايَرَ النَّظْمُ الكَريمُ في التَّعْبيرِ، فاستَعْمَلَ الاسمَ المَوْصولَ والفِعْلَ الماضي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ مَعَ المُؤْمِنينَ، واستَعْمَلَ اسمَ الفاعِلِ مَعَ الكافِرينَ، فعَبَّرَ بالاسمِ المَوْصولِ (الَّذينَ) مَعَ صِلَتِه، لِما فيه مِنَ الإيماءِ إلى ثَباتِ ذَلِكَ الإيمانِ في نُفوسِهم، وظُهورِه في سُلوكِهم

كَثْرَةُ صُدورِ أفْعالِ الإيمانِ مِنَ الَّذينَ آمَنوا، وطُروءُ الكُفْرِ على قُلوبِ الكافِرينَ

(1) أبو موسى، آل حم، ص: 148.

وطَبائِعِهم، فالجُملَةُ المَوصولِيَّةُ أفادَتْ عَراقَةَ الإيمانِ في قُلوبِهم حَتَّى أصْبَحوا مَعْروفينَ بِه، وأفادَ الفِعْلُ الماضي ﴿ءَامَنُواْ﴾ كَثْرَةَ صُدورِ الأفْعالِ الدّالَّةِ على الإيمانِ مِنْهُم، وأمّا (الكافِرونَ)؛ فاستَعْمَلَ مَعَهُم اسمَ الفاعِلِ؛ للدَّلالَةِ على طُروءِ الكُفْرِ على نُفوسِهم، ثُمَّ تَمَكُّنِه مِنْها، حَتَّى صارَ لَهُم جِبِلَّةً لا تَتَزَحْزَحُ، فهُم عَريقونَ في هَذا الوَصْفِ[1].

سِرُّ التَّعْبيرِ بِالجُملَةِ الاسْميَّةِ في الآية:

دَوامُ العَذابِ لِكُلِّ مُعانِدٍ كَذّابٍ

في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ عبَّرَ النَّظْمُ الجَليلُ بِالجُملَةِ الاسميَّةِ؛ للدَّلالَةِ على دَوامِ العَذابِ واستِمرارِه، فلا يَنْقَطِعُ عَذابُهُم في النّارِ جَزاءً وِفاقًا على افترائِهم على رسولِ اللّه ﷺ، ولِرَفْضِهم التَّوْبَةَ بَعْدَ أنْ عُرِضَتْ عَلَيْهم.

الغَرَضُ مِنْ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿لَهُمْ﴾:

التَّقْديمُ لإفادَةِ الاخْتِصاصِ، ولِبَيانِ الاستِحْقاقِ، ولِلتَّهَكُّمِ

قَدَّمَ البَيانُ القُرْآنيُّ الجارَّ والمَجْرورَ ﴿لَهُمْ﴾ لأغْراضٍ ثَلاثَةٍ، **الأوَّلُ**: لإفادَةِ اخْتِصاصِ العَذابِ بِهم دونَ غَيْرِهم، **والثّاني**: لِبَيانِ استِحْقاقِهم لِهَذا العَذابِ، **والثّالِثُ**: مِن بابِ التَّهَكُّمِ بِالكافِرينَ، فإنَّ سياقَ الآيَةِ الإنعامُ والامتِنانُ على المُؤْمِنينَ بالاستجابةِ والتَّفَضُّلِ، ثُمَّ ذَكَرَ النَّظْمُ مَصيرَ الكافِرينَ، فقال: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ﴾، فتَشَوَّفَتْ نُفوسُ السّامِعينَ إلى مَعْرِفَةِ جَزائِهم، فجاءَ الإخْبارُ بِأنَّ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، فحَصَلَ لَهُم مِنَ المَهانَةِ والذِّلَّةِ والامتِهانِ أضْعافُ ما حَدَثَ للمؤْمِنينَ مِنَ الكَرامَةِ والتَّحيَّةِ والإنْعامِ.

الغَرَضُ مِنَ التَّنْكيرِ في: ﴿عَذَابٌ﴾:

في قَوْلِ اللّه تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ جاءَ لَفْظُ ﴿عَذَابٌ﴾ نَكِرَةً لِإفادَةِ التَّهْويلِ، فهوَ عَذابٌ لا يُقَدِّرُ قَدْرَهُ، ولا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إلّا اللّه، وفي هَذا مِنَ التَّهْويلِ ما فيه.

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 307.

نُكْتَةُ وصْفِ العَذابِ بِالشَّديدِ دونَ غَيْرِه مِنْ أوْصافِ العَذابِ:

مُلاءَمَةُ الوَصْفِ لِشِدَّةِ الجُرْمِ والافْتِراءِ

آثَرَ البَيانُ القُرْآنيُّ وصْفَ العَذابِ بالشِّدَّةِ، دونَ الوَصْفِ بالعَظيمِ أوِ الأليمِ أوِ المُهينِ باعْتِبارِ المُعَذَّبِ، فهُناكَ مَنْ يُناسِبُهُ وصْفُ العَذابِ بالعَظيمِ مِن بابِ الإهانَةِ، وهُناكَ مَن تُناسِبُهُ كَثْرَةُ العَذابِ كَمًّا وكَيْفًا - كَما هُنا - لأنَّهُم كَفَروا بالوَحْيِ، وافْتَرَوا على رَسولِ اللّه ﷺ، فكانَ الوَصْفُ لِلعَذابِ هُنا باعْتِبارِ الكَمِّيَّةِ والكَيْفِيَّةِ والدَّوامِ الأبَديِّ، كَما أنَّهُ سبحانه لا يُجيبُ دُعاءَهُم، فغَيْرُهم مِنَ العُصاةِ لَهم عَذابٌ غَيْرُ لازِمِ التَّقَيُّدِ بِشَديد[1].

بَلاغَةُ الاحتِباكِ في الآيَةِ:

الاسْتِجابَةُ في مُقابِلِ الإعْراضِ، والعَذابُ في مُقابِلِ النَّعيمِ

جاءَتِ الآيَةُ كُلُّها: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ جاريَةً على أُسْلوبِ الاحْتِباكِ، وهوَ أنْ يَجْتَمِعَ في الكَلامِ مُتَقابِلانِ، ويُحْذَفَ مِنْ كُلٍّ واحِدٍ مِنْهُما مُقابِلُهُ؛ لِدَلالَةِ الآخَرِ عَلَيْه، كَقَوْلِهم: (عَلَفْتُها تِبْنًا وماءً باردًا)، أيْ: عَلَفْتُها تِبْنًا، وسَقَيْتُها ماءً باردًا[2]، وفي الآيَةِ جاءَ ذِكْرُ الاسْتِجابَةِ أوَّلًا دَليلًا على ضِدِّها ثانيًا، والعَذابِ ثانيًا دَليلًا على ضِدِّه أوَّلًا، وسِرُّه أنَّهُ ذَكَرَ الحامِلَ على الطّاعَةِ والصّادَّ عَنِ المَعْصيَةِ[3].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 307.
(2) الجرجاني، الكليّات، ص: 12.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 17/ 307.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والخمسون،
سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 53 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-644-66-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 53 : المجلد الثالث والخمسون، سورة الشُّورى من الآية 13 إلى سورة الزُّخرُف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-644-66-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4811073 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"